الفصل الرابع

الملـــة الاصـــلاحية

١ ـ نشأة الملة الاصلاحية :

من أغرب طبائع البشر أنهم لا يمتثلون لاكراه ولكنهم يمتثلون اليوم طوعا لما قاوموه بالأمس وقد فرض عليهم كرها ، كان المسيحيون يكرهون اليهود فى القرون الوسطى على التجمع ثلاث مرات فى السنة كيْ يبشر فيهم أحد قساوسة الكنيسة (١) . فلم يجد هذا الاكراه شيئا ، أما وقد حضر بعض اليهود والربابنة طوعا وعن رغبة منهم الطقوس التعبدية المسيحية فى الكنائس ، خرجوا منها غاضبين على طقوسهم الدينية وغير سعيدين بها (٢) . كانت الصلاة اليهودية طويلة جدا اذا أضيفت الى تلاوة التوراة قراءة قصائد تعبدية لا أول لها ولا آخر ، تسمى « بيوتيم » . وكان المنفى قد حرمهم استعمال أية آلة موسيقية فى الكنيس اليهودى وأصبح تحريم الموسيقى أمر لا يقبل الجدل . ومع هذا فقد مر بنا أن سليمان دوروسى أضاف أرغنا وكورال أطفال ونساء الى كنيس مانتوا بايطاليا مقلدا بذلك الكنيسة المسيحية .

والحق ، أنه منذ أن ابتدأ اليهود يتعرفون على الطقوس الدينية المسيحية ، أصيبوا بشعور ضعة طقوسهم اليهودية اذا ما قورنت بالأولى ، ولم يعودوا يتذوقون قراءة القوانين اليهودية وشروحها الطويلة المملة . وبما أن اليهود أقبلوا على تعلم اللغات القومية فقد نسوا العبرية وأصبحوا لا يفقهونها وبهذا أصبحت الطقوس اليهودية سلسلة طويلة من

---

(١) الكتاب السابق ذكره (Israel Abrahams) ، صفحة ٤١٨ .

(٢) الكتاب السابق ذكره (Cecil Roth) ، صفحة ٣٧٥ .

التمتمات غير المفهومة (٣) . وكذلك ، لم يكن تدريس اللغة العبرية فى المدارس اليهودية ليؤهل الناس لتفهم ما يقال فى صلاتهم . وذلك أن التعليم اللغوى انحط لدرجة أنه لم يكن يتعدى حفظ بضعة مقتطفات من التوراة غيبا (٤) . ولذلك وجه مندلسون اهتمامه الى تدريس اللغة العبرية فى حملته لاصلاح شأن اليهود . فقد كان رائده الأول جعل اليهود يفهمون دينهم ويساهمون فى طقوس الكنيسة بشكل فعال . وكما نذكر ، كان مندلسون شديد التمسك بالقوانين والطقوس . فلا غرو أنه أراد تغيير المصلين ، لا الصلاة (٥) . الا أن أتباعه لم يولوا التراث اليهودى مثل هذا الولاء . لذلك رأوا اصلاح الدين نفسه . وأول أتباع مندلسون الذين طالبوا بتغريب أو فرنجة الطقوس اليهودية داوود فريد لاندر (١٧٥٦ ــ ١٨٣٤) ، اذ قال : أصبحت صلوات اليهود على مرور الزمن أسوأ فأسوأ . فالأفكار التعبدية اليهودية أصبحت ملتبسة على الناس بما اعتراها من التصوف ومبادىء المقابلا المناهضة لروح الدين اليهودى الحقيقية . وكذلك لغة الصلوات فهى أصبحت مؤذية للأذن وحافلة

---

(٣) يقول صمويل بيبيس فى مذكراته يصف أحتفالا دينيا فى كنيس اليهود السفارديم فى لندن : « ... كان طقسهم الدينى وتعبدهم كله تمتمة وغناء بالعبرية بينما يحمل التوراة عدد من الرجال يجوبون بها القاعة ذهابا وايابا ... ولكن يا الهى ! ياللفوضى ، يا للضحك ، يا للهزار ، ويا لعدم الانتباه الذى يعترى المصلين اليهود أثناء صلاتهم . وكانت صلاتهم كلها وتعبدهم فوضى لا أول له ولا آخر . حقا ، انهم يشبهون الرعاع ، ولا مثيل لهم بين الناس الذين يعرفون الاله الحق ... » .

Everybody's Pepys : The Diary of Samuel Pepys 1660 — 1669, ed E.H. Shepard. New York : Harcourt, Brace & Co, 1926, p. 209.

(٤) David Philipson, **The Reform Movement in Judaism.** New York : Macmillan, 1907, p. 23.

(٥) الكتاب السابق الذكر (Hermann Walther) ص ١٤٦ ــ ١٤٨ .

بالأخطـاء اللغويـة . من حسن الحظ أن الأكثريـة الكبرى من اليهود لا يفهمون منها شيئا . ولو فهموا لتأثروا بها الى الأسوأ (٦) .

وكـان أول من اسـتعمل لغة غير العبرية فى الطقوس الدينية ، كنيس عادات يشورون بامستردام بهولندا سنة ١٧٩٦ . الا أن الاصلاحات الأخرى لم يؤخذ بها فى ذلك العهد . لم يكن اصلاح الطقوس نصف المشكلات أو ربعها بالرغم من انصباب الاهتمام كله عليها . والواقع أن اليهود فى ذلك الزمن لم يكونوا مستعدين لخوض بحث عن هذا القبيل . اذ كان الشعب وحاخاموه يجهلون تاريخ التعبد اليهودى . فكيف لهـم اصلاحه بشكل جدى ؟ وعلى كل ، أخذ اليهود ، بعد أن تفرنجوا ، يصبون حمم غضبهم على العناصر الشرقية فى الطقوس ويطالبون بحذفها كى تصبح أكثر تشبها بالطقوس البروتستانتينية المسيحية . لكن المعارضة كانت قوية ومسموعة . لذلك تأخر قيام حركة الاصلاح بتأسيس الكنائس واعتبار نفسها ملة .

وكان أول ما قامت به الحركة من اصلاحات فى الطقوس ، ما أجراه الحاخام اسرائيل جاكوبسن فى مدينة زيزن فى ألمانيا حيث أسس مدرسة الصبيان اليهود رتب فيها الطقوس الدينية كما كان يهواها لا كما تعلمها من الأجداد (٧) . وكان تدشين المدرسة سنة ١٨١٠ بمثابة بداية الملة الاصلاحية (٨) ، وان كانت بدائية ، أما تدشين المعبد الاصلاحى فى هامبورج سنة ١٨١٨ ، فهو حقا موعد دخـول الحركة الاصـلاحية فى التاريخ كحركة دينية كاملة ، لها معبدها وتابعوهـا وقوامهـا القانونى

---

(٦) W. Gumther Plaut, The Rise of Reform Judaism New York : World Union for Progressive Judaism Ltd., p. 11.

David Freidlander, **Sendschreiben an . . . Probst Teller, Berlin 1799, p. 61.**

(٧) الكتاب السابق ذكره (David Philipson) صفحة ١٩ ـ ٢٢ .

(٨) الكتاب السابق ذكره (W. G. Plaut) صفحة ٢٩ أو مجلة سولاميت السنة الثالثة (١٨١٠) العدد ١ ، صفحة ٢٩٨ .

الخاص بها . وكان ادوارد كلاى (١٧٨٩ ـ ١٧٦٧) وكارل سيجفريد جونسبرج (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠) قد أنتجا سنة ١٨١٧ أول كتاب صلاة باللغة الألمانية فبمناسبة افتتاح معبد هامبورج نقح هذا الكتاب وأعيد نشـــره معيارا للصلاة حسب الملة الاصلاحية (٩) . وقد وضع فى هذا المعبد أرغن يعزف أثناء الطقس والكورال يغنى .

* * *

٢ ـ الفكر الاصلاحى :

ان المشكلة الفكرية الكبرى التى تعرض لها الفكر الدينى اليهودى والمسيحى فى القرن التاسع عشر هى ما تعرض له العهد القديـــم من الكتاب المقدس للنقد . فمنذ أن حل شامبليون رموز حجر رشيد وأخذت الحفريات تنقب عن آثار الأقدمين سواء فى مصر أو فلسطين وســـوريا ولبنان والعراق ، أخذت علوم الشرق القديم ، من تاريخ وجغرافيا وأدب ولغة ودين وميثولوجيا تتدفق على الأوساط العلمية الغربية . وقد أسفرت هذه العلوم عن حقائق كثيرة ثبت بعضها ما جاء فى الكتاب المقدس ونقض الكثير منه . وزاد الطين بلة نشأة العقلانية وســـيطرة فلسفتها على تفكير العصر كله ، مما أدى الى اضعاف الادعاء الدينى بأن الكتاب المقدس وحى يجب تصديقه وان تخالف مع العقل . هذا وان العلوم الطبيعية كانت قد أجرت خلال القرنين السابقين تجارب كثيرة ناقضت الكتاب المقدس فى مواضع عديدة .

لهذه الأسباب ، أصبح الكتاب المقدس مشكلة شائكة لكل من يهمه أمر الدين ، سواء أكان من المسيحيين أو اليهود . فما معنى أن يكـون كتاب الدين الأول الذى كان يعد وحيا نـزل من السماء وخطـه موسى بيده ، مليئا بالأخطاء الحسابية منها والجغرافية والتاريخية والعلمية ؟ ما معنى الوحى اذا ثبت أن الكتاب المقدس جاء من عصور مختلفة ومن أقلام شتى تناقض بعضها بعضا ؟ وما معنى الوحى اذا ثبت أن فى الكتاب

---

(٩) الكتاب السابق ذكره (Philipson) ، صفحة ٤٢ وما يليها ، وكذلك فى الكتاب السابق ذكره (Plaut) ، صفحة ٢٩ ـ ٣٣ .

المقدس أحكاما وسننا وقصصا على جانب عظيم من المهانة والرذيلة وسوء الاخلاق التى لا يتقبلها عاقل تقى ؟

سعيا وراء تخليص الكتاب المقدس من نقد مبرم ورفض تام بل وسقوط محقق ، راح علماء الدين المسيحى ينتحلون النظرية تلو النظرية فى جميع الحقول محاولين تفسير وتاويل نصوص الكتاب المقدس . فعلماء التاريخ القديم وعلماء الآثار وعلماء اللغة كانوا يشنون على الكتاب المقدس حملات نقدية عنيفة كانت محط ونظر وفكر العامة والحكومة فى المانيا وانتهى الأمر بعلماء العهد القديم الى تغيير معنى الوحى . كان الوحى كلمات معبرة عن أفكار أو حقائق يتلقاها النبى مباشرة ويعطيها للتاريخ ، أما الآن فاصبح الوحى أفعال يقوم بها الفرد أو الشعب المختار فتؤدى الى أفعال أخرى فى التاريخ نهايتها وذروتها مجىء المسيح وصلبه وقتله فداية للبشر ، بهذا الحل . استطاع العلماء المسيحيون تقبل كل ما جاء فى العهد القديم على علاته ، مدعين أنه مجرد سجل ، فى بعضه شىء من الالهام فقط ، للأفعال الوحيية ، أى للتاريخ اليهودى برمته ، وهو سلسلة الأفعال الفردية والجماعية التى أدت فى نهاية الأمر الى فدية المسيح .

هذا هو حل مسيحى . الا أن اليهود لم يكونوا يستطيعون رفض كله ، وان كان لا بد من رفض المسيح وقصة فدائه . ولا بد لهم من الابقاء على النقد وهو حصيلة العلوم المتعلقة بالشرق القديم ، ولكن كيف لهم التوفيق بين النزعة العلمية النقدية وبين ولائهم للتوراة والقانون الذى ورثوه .

قام فى برلين سنة ١٨١٩ حوالى خمسين يهوديا مثقفين يدعون الى أن اليهودية وتاريخها وأدبها وتراثها الثقافى وأوضاعها الحالية يمكن أن تدرس دراسة موضوعية ، نقدية ، علمية بدون التعمد الى الهدم والنقض ، كما تدرس فى مناهج الجامعات العلمية ، سموا جمعيتهم :
Verein fur Kultur und Wissenchaft des Juden thums

ونجحوا بالفعل فى تأسيس مجلة : Zeitschrift fur dis Wissen shaft Judenthums سنة ١٨١٢ وفى تشجيع عدد من الدراسات ، منها دراسات اسحاق ماركوس يوست (١٧٩٣ ـ ١٨٦٠) وليوبولد تسونتس (١٧٠٤ ـ ١٨٨٦) ، وكان الأخير حاخام الكنيس الاصلاحى فى برلين ٠

وفى سنة ١٨١٧ ، اغلقت الحكومة البروسية هذا الكنيس الاصلاحى تحت ضغط المحافظين اليهود ٠ واستند أمر الاغلاق الى أن اليهودية دين مقفل منذ مجىء المسيح وأن ليس له حق التطور وتجديد نفسه ٠ وراح تسونتس اثر هذا التصريح يدرس ويبحث راجيا الوصول الى ما يثبت بطريقة علمية أن للدين اليهودى أصالة وأنه سبق أن جدد نفسه وطقوسه بالماضى وجارى العصور ٠ ووضع هذه الأبحاث فى كتاب عنوانه :

Die Goitesdienstlichen Vortage der Juden, historisch entwickelt

(أى التطور التاريخى للخطبة والوعظ فى الدين اليهودى) نشره سنة ١٨٣٢ ٠ ولا شك أن هذا البحث دعم الموقف الاصلاحى ٠

وكذلك ألف سليمان لودفيج شتاينهايم (١٧٩٠ ـ ١٨٦٦) كتابه :

Die Nffenbarung nach dem Lehr Begriff der Synagoge

(أى الوحى حسب تعاليم الكنيس اليهودى) سنة ١٨٣٥ ، مستندا على فلسفة كانت الحدسية لدعم الايمان بالشرائع التلمودية ورادا على النظرية المسيحية للوحى ٠ وأغرب ما جاء به هذا الحاخام العالم من تجديد هو أن الوحى ـ وهو كلمات يوحى بها من عل ـ لم يأت كله دفعة واحدة ، بل على دفعات ٠ جاء بعضها فى العصور الغابرة وسجل فى الكتاب المقدس ، مخلوطا بالكثير مما هو ليس بوحى ٠ ولهذا ، لا يمكن التمييز بين الوحى الصحيح وما لفق بانه وحى سوى بالايمان ٠ أى باتخاذ ما يؤمن اليهودى أنه وحى حسب ايمانه الخاص ٠ وأن ليس ما يثبت

وجود هذا الايمان عند الفرد سوى قيامه بما يمليه ايمانه من سلوك وتطبع أخلاقى (١٠) ٠

واستفادت الحركة الاصلاحية من تفكير شتاينهايم :

أولا : أن نظريته تتيح الفرصة لكى يوجد فى هذا العصر ، كى يتبلور الدين من جديد ويجارى الزمان والمكان ٠ وهذا مبدأ يفيد حركة الاصلاح ضد ادعاء أعدائها بأن الوحى جاء وانتهى أمره فى الكتاب المقدس ٠

ثانيا : أنه طالما أن الوحى اختلط بغير الوحى فى الكتاب المقدس ، فيجوز لليهودى المعاصر أن يختار ما يشاء اتباعه من أحكامه ، وان لا يعارض جيل سابق ما يرتأيه الجيل اللاحق من تغييرات فى الطقوس والأخلاق والعادات ٠

وجاء بعد ذلك صموئيل هولدهايم(١٨٠٦ ـ ١٨٦٠) يؤكد أن ما بين شريعة سماوية وما من وحى الهى الا أنزل لوقته ومكانه فقط ٠ قال : « ان العصر الحاضر يقتضى مبدأ صريحا بينا بأن القانون ، وان كان الهيا ، له السلطة والحق فقط طالما أن أوضاع الحياة التى جاء لمعالجتها مستمرة ٠ وعندما تتغير هذه الأوضاع ، يجب أن ينسخ القانون حتى وان كان الله صاحبه ومشرعه ، ذلك لأن الله اثبت بدون شك أن باختلاف الأوضاع والشروط التى من أجلها شرع قانونه ، يتوقف العمل بذلك القانون ٠ اذن فالقوانين الالهية لا تتبع الآن لأنها عاجزة عن أن تفرض نفسها » (١١) ٠ وقال أيضا : « يتكلم التلمود بأيديولوجية العصر

---

(١٠) راجع المقال عن المؤلف المذكور فى الموسوعة اليهودية ، الجزء ١١ ، صفحة ٥٤٣ وما يليها ٠ وانظر :

Jacob B. Ague, **Modern Philosophies of Judaism : A Study of Recent Jewish Philosophies of Religion.** New York Behrman's Jewish Book House, 1941, pp. 11-16.

(١١) كذلك فى الكتاب السابق ذكره ليوسف بلاو ، صفحة ٣٧ وهو قول مأخوذ من كتاب فيليبسون : (The Reform Movement) السابق ذكره ص ١٨٠ ٠

الذى جمع فيه . فصلاحيته مقتصرة على ذلك العصر . أما أنا فأتكلم من وجهة نظر الايديولوجية العليا لهذا العصر . لذلك ، فأنا محق ولى الصلاحية لعصرى » (١٢) .

* * *

٣ ـ ابراهام جايجر :

ويعتبر ابراهام جايجر (١٨١٠ ـ ١٨٧٤) أكبر مفكرى الحركة الاصلاحية . وقد بنى نظريته على تفكير اللاهوتى الألمانى فريدريش شلايرماخر ، ونحا نحوه بتركيز الدين كله على الشعور ، وعلى التقوى الشخصية ، مستوحيا ما قاله المتصوفون اليهود فى القرون الوسطى من قابالا وحاسيديم . وكان يتوخى جايجر قطع المحافظين فى تقديسهم للطقوس والقوانين التلمودية . الا أنه هو أيضا جاء بتجديد غريب فى الدين اليهودى ، اذ قال ان بين الشعور القومى اليهودى والعالمية كان ضغط تقابلى أدى الى ارساخ فكرتى « الشعب المختار » و « العالمية » . وان هذا الضغط أدى فى حركته عبر العصور الى نسخ فكرة الشعب المختار وتقوية العالمية . وعليه يمكن الآن حذف جميع الاشارات الى خصوصية الشعب اليهودى من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وأدبه . وأكد جايجر أنه اذا تم ذلك الحذف ، فما من شىء يحول دون انصهار اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، وبالتالى حذفت العبارات المشيرة الى صهيون والى العودة اليها من الطقوس الدينية فى كنيسه فى برلين ، أما فكرة المسيح الذى يؤمن اليهود بأنه آت ليعيدهم الى صهيون ويتملك عليهم هنالك فى دولة سياسية عسكرية تتحكم بالبشر أجمع ، فقد حورها جايجر حتى أصبحت تعنى عصرا مخلصيا للعالم ، يشترك فيه الآدميون فى كل مكان لاحقاق الحق .

وسعيا وراء توحيد كلمة وصف المنتمين الى الحركة الاصلاحية ، دعا

---

(١٢) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٤٣ ، مأخوذ من كتاب المفكر نفسه :

S. Holdheim, Das Ceremonialgesetz in Messiasreich, Schwerin, 1845, p. 50.

جايجر سنة ١٨٣٧ الى اجتماع عام للربابنة الذين يميلون للاصلاح . وكان رأيه أنه اذا استمر الحاخامون يحذفون من التراث الدينى ما يشاؤون بغير حساب ، فالنتيجة الحتمية ستكون تفتت الدين والقضاء عليه . وعقد الاجتماع بالفعل فى فيسبادن فى السنة ذاتها . ومع أن المؤتمر لم يكن ليشرع بل ليشرح ويقترح ويبحث فقط ، لم يؤت أية ثمار تذكر . وعقدت مؤتمرات أخرى لنفس الغرض سنى ١٨٤٤ و ١٨٤٥ و ١٨٤٦ فى مدن ألمانية مختلفة .

وفى هذه الأثناء ، عين جايجر حاخاما مشتركا فى بريسلاو ، حيث يعمل الحاخام المحافظ جدا سليمان تيكتين ، وفى الحال ، اشتعلت نيران الجدال العنيف بين الحاخامين ، مما دفع جميع الحاخامين الآخرين فى أوروبا الى اتخاذ موقف المناصر أو المناهض فى القضية . وعلى عكس جايجر ، يقول الحاخام تيكتين : « كل من غير أى أمر أو نهى جاء فى التلمود كافر ، خارج عن الدين اليهودى لا تقبل له شهادة » (١٣) وتدخلت سلطات اليهود فى مدينة بريسلاو لحسم الخلاف فناشدت حاخامى أوروبا كلها بأن يبعثوا لها أجوبتهم الصريحة عن الأسئلة التالية : « هل التقدم ممكن فى الدين اليهودى أم هل هو مكتوب فيه أن لا تغيير ولا تبديل ؟ هل الكثيرون من أبنائنا الذين يشككون فى صلاحية التشريعات التلمودية لهذا العصر ويرتأون آراء تختلف عما رآه أسلافنا فى القرون السابقة ، هل هم يستحقون « اسم يهودى » أم هل يجب اعتبارهم مردودين أو كفارا ؟ هل اللاهوت اليهودى قابل للدراسة العلمية ، وهل يحتمل الدين البحث الحر ؟ أم هل يجب عدم مس الدين التقليدى مهما ابتعد عن الثقافة المعاصرة أو ناقضها ؟ هل لا يجب بحث

---

(١٣) كما فى كتاب فيليبسون السابق ذكره ، صفحة ٧٨ . ألف جايجر كتابا وضع فيه نظريته عنوانه :

Darstellun des Sachverhaltnisses in Seiner hiesigon Rabbinatsangelegenheit.

أى « عرض للأوضاع الحاضرة فيما يختص بالربابنة فى هذه الديار » .

هذه الأمور ؟ وهل يحق للحاخام الذى ينشر آراء ايجابية لهذه الأسئلة أن يكون حاخاما » ؟ (١٤) .

وأقيمت خلال هذه السنوات مؤتمرات عديدة ، منها ما ذكرنا سالفا ، بحثت فيها هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كانت تهم اليهود . منها : ما هى سلطة التلمود بالتحديد ؟ وما هى صلاحيته ؟ هل لمجلس الربابنة سلطة تأويله ؟ هل يجوز لليهود الزواج من المسيحيين وحاخام ابرام عقود نكاح مختلطة ؟ ما هو علاقة الشعب اليهودى كوحدة اثنولوجية بالدين اليهودى ؟ وهل يجوز لليهودى أن يقدم ولاءه للحكومة ؟ ألا يجوز تغيير الطقوس الدينية ، ولو شكليا ؟ هل تجوز الصلاة بغير اللغة العبرية ؟ هل يجوز استعمال الأرغن فى الكنيس ؟ ألا يجب الاعتراض على القسم اليهودى المتبع فى المحاكم (وهو قسم يختلف عن القسم المسيحى) ؟ أيجب تعديل قوانين الزواج والطلاق ؟ قوانين الطعام ، والسبت والختان ؟

طبعا كان يجيب الاصلاحيون بالايجاب عن جميع هذه الأسئلة ، محاولين تدعيم موقفهم . وكانت أشد حاجاتهم اقناع اليهود بأن للربابنة الحق فى بحث هذه الأمور وتسيير دفة أمور الدين اليهودى كما يقتضى العصر .

* * *

٤ ـ حركة الاصلاح بعد عام ١٨٥٠ :

فى أمريكا لم يكن للفكر اليهودى أثر يذكر قبل منتصف القرن الماضى . نعم كان هنالك يهود . الا أنهم كانوا يدينون للأوساط الأوروبية

---

(١٤) المصدر السابق ، صفحة ٨٤ وما يليها . جمعت الأجوبة التى وصلت فى كتاب نشر بعنوان :

Rabbinische Gutachten uber dis Vertraglichkeit der freien Forschung mit dem Rabbineramte.

أى « آراء الربابنة فى صلاحية البحث الحر وعلاقته بوظيفة الحاخام » فى برسلاو سيتى ١٨٤١ و ١٨٤٣ .

فى كل ما يتعلق بالفكر والدين . فلم يكن لهم رأى سوى ما يمليه عليهم الربابنة فى أوروبا . لم يكن بينهم عالم يذكر ولا مدارس لتعليم اللاهوت اليهودى وتخريج الحاخامين . بل أن أمريكا جذبت حثالة اليهود الاوروبيين فقط . ويقول يوسف بلاو ، أستاذ الدين اليهودى فى جامعة كولومبيا ومؤرخ اليهود الأمريكان انه لم يكن رجل يعرف أصول الدين حتى بين الرعية اليهودية الأمريكية (١٥) .

فكلما أشكل عليهم الأمر ، كانوا يكتبون لحاخامى أوروبا وينتظرون ردودهم ليعملوا بموجبها . ومع هذا ، لم يكن هنالك تراث القرون الوسطى يعوق ويناهض حركة اليهود التحريرية أو الاصلاحية . وساعد أيضا المنهاج العلمانى الذى سارت عليه معظم الولايات المتحدة ، اذ لم يكن دستوريا لها التدخل فى أمر أية طائفة دينية ، وكانت كل طائفة يحق لها تسجيل نفسها بنفسها بمجرد الطلب . وأول كنيس أمريكى تبنى حركة الاصلاح هو كنيس « بيت الوهيم » فى مدينة شارلستون بكارولينا الجنوبية . الا أن المدينة نفسها تقلصت فيما بعد ، وهاجر معظم سكانها اليهود فلم يعد لهم أهمية تذكر فى التطور العام ، الا أن الاصلاحيين فى أمريكا كانوا كثيرى الاقتداء بالنظام الدينى المسيحى وشديدى التمثل برجاله وطقوسه .

وأسس عدد من الكنائس الاصلاحية فى المدن الأمريكية الكبرى قبيل عام ١٨٥٠ . الا أن حركة الاصلاح الأمريكية لم تنتعش الا بعد تعيين الحاخام اسحاق وايز فى البانى ، نيويورك . فمنذ أن تسلم مهام منصبه أخذ يحقق اصلاحات واسعة المدى ، منها كورال مختلط من الرجال والنساء ، ومنها طقس التثبيت الدينى ، ووضع المقاعد فى الكنيس على الطريقة المسيحية . وفى سنة ١٨٥٠ بالذات ، قام جدال عنيف بين دعاة الاصلاح والمحافظة فى نفس الكنيس أعلن ضمنها الحاخام وايز بأنه لا يؤمن لا بالبعث الجسدى ولا بمقدم المسيح المنتظر . وعليه ، أرغم قهرا على الخروج من الكنيس وهو يلقى وعظه يوم رأس السنة اليهودية . الا أنه

---

(١٥) انظر كتابه السابق ذكره ، صفحة ٣٩ .

عين حالا حاخاما فى مدينة سنسناتى حيث أسس قاعدة جديدة لحركة الاصلاح (١٦) ٠

واستمدت حركة الاصلاح فى أمريكا رجالاتها وفكرها من ألمانيا (١٧) قال صموئيل آدلر ، حاخام كنيس عمانوئيل الاصلاحى فى نيويورك ، محتذيا حذو الحاخام جايجر الألمانى : « ان أولى الخطى التى يجب أن تتخذ هى تطهير الطقس الدينى من الأكاذيب والخرافات الأخرى التى لم تكن تذكر لولا أنها تقال فى لغة وبطريقة لا يفهمها أحد ٠ ومن هذه الخرافات النحيب والعويل حول الاضطهاد ، وطلب اعادة الطقس القربانى الى الوجود ، والدعاء بالعودة الى فلسطين ، والتطلع الى مسيح شخصى ، والايمان بالبعث الجسدى ٠ وبالتالى ، يجب حذف كل المبالغات والمغالطات ثم تطهير الطقس الدينى وجعله بينا ، مفهوما واضحا وملهما وباعثا للتقوى الصحيحة » (١٨) ٠

وأضاف ماكس للينتال ، حاخام كنيس اصلاحى آخر فى سنسناتى ، التفريق بين ما هو زائل وما هو أزلى فى الدين ، مقلدا ليئودور باركر الذى أشار نفس السؤال بخصوص المسيحية ٠ وعلى اثره ، قال داوود اينهورن ، حاخام بلتيمور وأجرأ اليهود على الاصلاح : « ان للقانون الالهى جسد زائل وروح أزلية ٠ أما الجسد ، فهو معنى كى يكون خادما للروح ، ولا بد له من الدفن بمجرد افلات الروح منه ، فقط الوصايا العشر هى الروح ، وكل ما عداها جسد زائل » (١٩) ٠ وكذلك ، قال

---

(١٦) Israel Knox, Rabbi in America : The Story of Isaac M. Wise. Boston : Little, Brown & Co., 1957.

M.B. May, Isaac Mayer Wise, The founder of American Judaism : A. Biography New York : Putnnm, 1916.

(١٧) ذلك أن ربابنة معظم الكنائس الاصلاحية فى أمريكا التى تم تأسيسها فى ذلك العهد أتوا من ألمانيا وكانوا تتلمذوا فيها على أساتذة اصلاحيين أو عملوا فى كنائسها الاصلاحية ٠

(١٨) فيليبسون ، الكتاب السابق ذكره ، صفحة ٤٨٣ ٠

(١٩) المرجع السابق ، ص ٤٨٣ ٠

برنارد فلسنتال ، حاخام شيكاغو الاصلاحى : « انه ما من قانـــون أزلى سوى القانون الأخلاقى الذى نقشه الله بأصبعه نقشا لا يمحى فى طبيعة الانسان الروحية » (٢٠) وهو يعـارض المحافظة على التلمـود بهذه الحجة : اذا وجب علينا انكار قوانين التوراة الالهية بالذات عندما يتوقف العمل بها وتخسر فعاليتها ، فكم بالأحرى أن ننكر قوانين التلمود الموضوعة من قبل الربابنة فى عصرهم العتيق ؟

* * *

٥ ـ مؤتمر بيتسبورج الاصلاحى سنة ١٨٧٥ :

أسس الحاخام اسحاق وايز بمساعدة عدد من زملائه حاخامى الحركة الاصلاحية والحركة المناهضة لها كلية الاتحاد العبرى (Hebrew Union College) فى مدينة سنسناتى حيث كان يعمل حاخاما . كان ذلك سنة ١٨٧٥ وكان عدد الطلبة المنتمين أربعة . ولم يكن حتى ذلك العهد ، وحتى سنة ١٨٨٣ حين تخرج الفوج الأول من هذه الكلية ، ، أحد من الحاخامين فى أمريكا الا وقـد تخرج فى معهـد أوروبى وحصل على الحاخامية خارج أمريكا .

لذلك كانت الحاجة ماسة الى معهد أمريكى يعد الحاخامين ويدربهم للخدمة فى أمريكا . وكانت الرغبة فى تأسيس هـــذه الكلية وضرورة جمع نفقاتها من اليهود الاصلاحيين أدت الى تأسيس اتحـاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية سنة ١٨٧٣ . وقد أصبح هذا الاتحاد الهيئة الرسمية للملة الاصلاحية . وكذلك ، قام الحاخام وايز بتأسيس مجلس الربابنة الاصلاحيين فى مؤتمر دعا الحاخامين لعقده فى فيلادلفيا سنة ١٨٦٩ . وفى المؤتمر نفسه ، دعا وايـز زمـلاءه لتبنى قرار بالأمـــور الآتية :

(١) انكار نظرية المسيح المنتظر .

(٢) اعادة تأويل تدمير الدولة اليهودية الثانية على أيدى الرومان واستبدال معناها التقليدى ـ أن اليهود شردوا فى أقطـار العـالم كى

---

(٢٠) فيليبسون ، الكتاب السابق ، ٤٨٤ .

يحققوا رسالتهم الالهية انفصالا عن البشر ـ بانهم شردوا ليحققوا تلك الرسالة بين البشر لا انفصالا عنهم ٠

(٣) انكار الأمل بالعودة للطقس القربانى والكهنوت الهارونى ٠

(٤) تأويل فكرة « الشعب المختار » بحيث تصبح عالمية المعنى والتطبيق ٠

(٥) انكار نظرية بعث الجسد ٠

(٦) التوصية باقامة الصلوات باللغات القومية ٠

(٧) تعديل قوانين الربابنة المختصة بالزواج والطلاق (٢١) ٠

ومع أنه عقدت مؤتمرات عديدة كانت تبحث هذه المبادىء خلالها ، فان انفصال الاصلاحيين التام عن بقية اليهود لم يأت سوى فى سنة ١٨٨٥ حيث عقد مؤتمر فى مدينة بيتسبورج سمى باسمها فيما بعد ٠ وفى هذا المؤتمر ، عرض الحاخام كاوفان كوهلر قائمة مبادىء ليتبناها المؤتمر كدستور نهائى لحركة الاصلاح ٠ ووصف المؤرخ فيليبسون هذه الوثيقة بأنها أوضح وأقصر وأول كلمة قيلت فى الملة الاصلاحية ٠ حوت القائمة البنود الثمانية الآتية :

(١) أن الكتاب المقدس لهو أعظم وثيقة خلقها الانسان ٠ وينطوى هذا البند عن مبدأين :

الأول : أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله ، بل من صنع الانسان ، له وعليه كل ما لمخلوقات الانسان من روعة وقوة أو ضعف وخطأ ونسبة ٠

والثانى : أنه أعظم الوثائق المدينية لا أوحدها ٠ أى أن وثائق الأديان الأخرى ليست مرفوضة بتاتا ، بل هى من نفس النوع كالكتاب المقدس وان قلت عنه درجة فى الروعة والحسن أو الخطأ والضعف ، يقول القرار : « ان الكتاب المقدس أعطانا أرفع تصوير لفكرة الاله ٠ وهى التى

---

(٢١) فيلبسون ، الكتاب السابق ، صفحات ٤٨٨ ـ ٤٩١ ٠

انشاها العلماء اليهود وألبسوها المعانى الروحية التى تتفق مع عصورهم المختلفة » .

(٢) الكتاب المقدس « وثيقة سجل فيها الشعب اليهودى تكريس نفسه لتحقيق رسالته ، ككاهن للاله الواحد » . وهذا يعنى تنـــازل الاصلاحيين تنازلا نهائيا عن فكرة الوحى الكلامى . فقد أرسوا قيمـة الكتاب المقدس على قاعدة « انه أقوى معبر عن المعانى الدينية والأخلاقية» وحاول الحاخام كوهلر اضافة عبارة « وحى الهى » فى هذا البند ففشل بسبب التباس معنى « الوحى » . وقد قضى هذا البند على أى عـــداء أو تنكر من قبل اليهود للاكتشافات العلمية التى تمس الكتاب المقدس والتى جاءت بها علوم القرن التاسع عشر .

(٣) لا صلاحية ضرورية لأى شىء فى الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقى . وبين جميع التشريعـات الموسـوية وغيرهـا ، « لن يعتبر الاصلاحيون الا تلك الطقوس والشعائر التى تقدس الحياة . أما التشريعات الباقية والتى لا تلائـــم فلسفة هـذا العصر الحـديث ومدنيته ، فهى مرفوضة » .

(٤) لا يقام أى وزن للتشريعـات اليهودية فى المأكـل والمشرب ، أو فى ملبس وطهارة الكهنة .

(٥) « تأول نظرية المسيح المنتظر التقليدية على أنها نظرية الأمل الانسانى العالمى لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعا » ، وينطوى على هذا انكار نظرية « الشعب اليهودى » . ويجب تعريفهم كانهم فرقة دينية لا قومية .

(٦) « الدين اليهودى دين تقدمى يسعى دائما لموافقة مبادئـــه وأركانه مع مفترضات وملزمات العقل » . ولهذا ، أعلن رائد الملة الاصلاحية وجوب تعاون ملتهم مع الأديان ، وبصورة خاصة مع الدينين الساميين ، المسيحى والاسلامى .

(٧) مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح ، ينكر المؤتمر المبدأ القائـل ببعث الأجساد وبالعذاب بعد الموت .

(٨) وأخيرا قرر المؤتمر اكتتاب اليهود الاصلاحيين بالدعوة الى تحقيق العدالة الاجتماعية التى ينادى بها العصر الحديث ، قال : « عملا بروح التشريع الموسوى (لا بحرفه) .. يعتبر المؤتمر المساهمة فى الواجب الكبير لحل مشاكل العالم الحديث الاجتماعية على ضوء العدالة ، أمرا لازما على جميع الاصلاحيين » (٢٢) .

يتبين من هذه المقررات أن الملة الاصلاحية ، التى انفصلت عن بقية اليهود بعد مؤتمر بتسبورج ، شيدت فلسفتها على مبادىء حركة التنوير فى القرن الثامن عشر وحركة التحرير فى القرن التاسع عشر .

* * *

٦ ـ نظم الملة الاصلاحية :

يسكن معظم أعضاء الملة الاصلاحية الولايات المتحدة وكندا . لهم فروع فى أوروبا الغربية ، الا أنها ضئيلة العدد والمقدرة . أما فى أمريكا الشمالية فللملة ٧٠٠ كنيس تمثل مثل هذا العدد من المجتمعات يتراوح عدد أعضائها بين المليون ونصف والمليونين . وهنالك ٨٥٠ حاخاما ينتمون للملة الاصلاحية سنة ١٩٦٥ (٢٣) .

وللملة كلية دينية تخرج له حاخامين ، هى « كلية الاتحاد العبرى » فى سنسناتى . وفى نفس المدينة يوجد أيضا « المعهد اليهودى للدراسات الدينية » يتعلم الاصلاحيون فيه الديانات غير اليهودية .

ترتبط المجتمعات الكنسية للملة الاصلاحية فى اتحاد عام اسمه : « اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية ، بينما يرتبط الحاخامون فى اتحاد « المؤتمر المركزى للحاخامين اليهود » . يقوم هذا الأخير

---

(٢٢) Proceedings of the Pittsburg Rabbinical Conference, Central Couference of American Rabbis, p. 7.

(٢٣) Richard F. Steinbriuk, «Reform Judaism» in Benjamin Efron, Currents and Trends in Contemporary Jewish Thought New York : Ktav Publishing House, Inc. 1965, p. 44.

مقام الأخصائى الذى يقدم مادته لاتحاد المجتمعات الكنسية فهو السلطة العليا • فللمجتمع الكنسى الذى يتألف من الرجال والنساء الأعضاء فى الكنيس الواحد والذين أسسوه أو قبلوا فيه فيما بعد الكلمة الأخيرة لا فى تنظيم الأمور الكنسية فحسب بل فى اقرار ما هو يهودى وما هو يهودى اصلاحى ، وهذا النظام الذى يضع السلطة النهائية فى المجتمع الكنسى بدلا من الكنيسة ، أو مجالسها الخاصة ، أو الكتاب المقدس ، أو سلطات أخرى خارجية عن مؤسسى الكنيس وأعضائه ، نظام مقتبس عن نظام الكنائس المسيحية المسمى (Congregationalism)

يقيم الاصلاحيون السبت مساء الجمعة بدلا من السبت • وليست هذه الشعيرة كلها بدعة فقد كان اليهود دائما يحتفلون بمقدم السبت مساء الجمعة فى اجتماع قصير يسمونه « أريف شبات » أو عشية السبت • الا أن الاصلاحيين جعلوا من هذا الاجتماع شعيرة السبت الكبرى • وذلك لأنهم لم يريدوا أن يتقيدوا بعدم مزاولة أعمالهم يوم السبت • ويجب أن لا ننسى أن الاصلاحيين يستعملون البنوك الخشبية الطويلة للجلوس فى الكنيس باختلاط الجنسين • ويتخلل عبادتهم العزف على الأرغن وغناء الأناشيد من قبل كورال يتألف من الرجال والنساء والصبيان والبنات • ولا يلبس الاصلاحيون اليارمولكا أو غطاء الرأس الصغير ولا يلزمون نساءهم بغطاء رؤوسهن أثناء الصلاة • وكذلك فهم لا يلبسون الشال أو « التاليت » على أكتافهم • لكنهم لا يمانعون من يرغب فى الامتثال لهذه التقاليد ، الا أن هؤلاء قلة •

يقيم الاصلاحيون معظم أعياد الرزنامة اليهودية • الا أنهم يحتفلون « روش هاشناه » و « شافوعوت » فقط فى يومها الأول ، وكذلك هم يثبتون البنات بالاضافة الى البنين بتمكينهم من الاحتفال بختمهن للدراسة اليهودية « بات ميتزفاه » •

***